مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة-تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 05 / العدد: 02 / (2021)، ص93/104

التّحاقل المعرفيّ بين المفارقة النّحويّة والتّفسير في المحرّر الوجيز لابن عطيّة الأندلسيّ مفارقة الحذف أنموذجًا.

Interdisciplinarity Between Grammatical Paradox And Interpretation In Al-Muharar Al-Wajiz Of Ibn Atiyah Al- Andalusi Ellipsis Paradox As A Model

رشيد ملياني *
rachid.meliani@univ-alger2.dz
مخبر اللّسانيات التّطبيقيّة وتعليم اللّغات
جامعة الجزائر 02
(الجزائر)

د. أمين قادري
amine-alahmady@hotmail.com
جامعة الجزائر 02
(الجزائر)

تاريخ الاستلام:2021/06/25 تاريخ القبول:2021/10/06 تاريخ النشر:2021/12/02

ملخص:

يجد الباحث في مفهوم المفارقة في التّراث العربيّ أنه منعدم تحت هذا المسمّى، إلّا أنَّ هذا لا يعني أبدًا انعدامه ظاهرةً وأسلوبًا، ولا يعني عدم وجود ألفاظ كانت تؤدي معناه وتقوم مقام مصطلحه الحديث، بشكل أو بآخر، والنّاظر فيها يجدها تنقسم لعدّة أقسام، معجميّة ونحويّة وبلاغيّة؛ وكلّ قسم له دواعيه الأسلوبيّة الّتي تدعو المبدع لاستخدامه، وفي بحثنا هذا سنقف على المفارقة النّحوية وأبعادها الجمالية؛ وعلاقتها بتفسير القرآن الكريم، متّخذين من مفارقة الحذف أنموذجا؛ ساعين لاستجلائها في تفسير ابن عطيّة، وكيف أثّرت في توجيه المعنى لديه، ولبلوغ هذا وجب الإجابة على الإشكاليّات التالية:ما هي المفارقة النحوية؟ وما هي مفارقة الحذف؟ و ما دورها في توجيه المعنى في تفسير ابن عطيّة؟

كلمات مفتاحية: ظاهرة المفارقة، المفارقة النّحوية، مفارقة الحذف، ابن عطية، المحرّر الوجيز.

Abstract:

The researcher on the term paradox in Arab heritage finds that it does not exist under this term, however, this does not mean at all its absence as a phenomenon and a method, it also does not mean that there are no terms that express its meaning, the one who searches in it will find that it is divided into several sections, lexical, grammatical and rhetorical, And in our research, we will study the grammatical paradox and its aesthetic dimensions. And its relationship to interpretation of the Noble Quran, using the paradox of deletion as a model; seeking to elucidate it in Ibn Atiyah's

*المؤلف المرسل.

interpretation, the following problems must be answered: the following problems must be answered: What is the grammatical paradox? What is the ellipsis paradox? And What is its effect on directing meaning in Al-Muharar Al-Wajiz of Ibn Atiyah?
Keywords: Phenomenon of Paradox; Grammatical Paradox; The Ellipsis Paradox; Ibn Atiyah; Al-Muharar Al-Wajiz.

مقدمة:

يُجمعُ النُّقَادُ العرب على انعدام المفارقة كمصطلح في التّراث العربي، إلّا أنَّ هذا لا يعني أبدًا انعدامها ظاهرةً وأسلوبًا، كما لا يعني عدم وجود ألفاظ كانت تؤدي معناها وتقوم مقام مصطلحها الحديث، بشكل أو بآخر.

وقد أشار خالد سليمان لهذه النقطة، قال: «فقد تتبّعناها في عدد من المصادر المهمّة مثل المثل السائر لابن الأثير، والعمدة لابن رشيق، ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجنّي، والبيان والتّبيين للجاحظ، فلم نجدها واردة فيها، ولكن دلالاتها أو حت بمسميات توحي بالمعنى نفسه للمفارقة حيث وردت هذه المسميات في الاستعمال الأدبيّ والبلاغيّ»[1] .

ورغم غيابها مصطلحًا عند النّقاد القدامى، فإنّ رُوح المفارقة لم تفارق تراثنا البلاغي يومًا لحاجة العرب لأساليب المراوغة، والهرب من كشف المعنى، وإظهار الوجه الصريح منه، وغير ذلك في سياقات تستدعيها ضرورات المقام.

والباحث في المفارقة العربية يجدها تنقسم لعدة أقسام، معجمية ونحوية وبلاغية؛ وكل قسم له دواعيه الأسلوبية، وفي بحثنا هذا سنقف على المفارقة النّحوية وأبعادها الجمالية؛ وعلاقتها بتفسير القرآن الكريم، مُتّخِذين من مفارقة الحذف أنموذجا؛ ساعين لاستجلائها في تفسير ابن عطيّة ولبلوغ هذا وجب الإجابة على الإشكاليات التالية:

– ما هي المفارقة النحوية؟ وما هي مفارقة الحذف؟ و ما دورها في توجيه المعنى في تفسير ابن عطيّة؟

1– المفارقة النّحوية (Grammatical Paradox):

إنّ مفهوم المفارقة النّحوية في مدوّنة القديمة تندرج تحت اهتمامات الدّرس البلاغي، لأنّه يضمُّ جملة من الأساليب المبنيّة على التّناقض، والّذي من شأنه إضفاء جماليات أسلوبيّة وأخرى تعبيريّة، يتباين مضمونها عن النّظريات النّحويّة المعياريّة.

وتشترك المفارقة النّحويّة مع البلاغية في صفة جوهرية؛ وهي أنّ كِلَيْهِما يُبنى على التّناقض وهو ما جعل الدّرس النّحويّ تتضارب فيه القواعد وتتباين، رغم استحضار آليات التّقدير والتّأويل والتّعليل لتبرير الأحكام، وإجازة بعض ما خرج عن المعياريّة وخالف قواعد القياس من كلام العرب.

2– المفارقة القاعديّة (النحوية) (Syntax Paradox):

يمكن الاصطلاح عليها بمفارقة القاعدة النّحوية، وهي مفارقة تُعنى بالجانب الفنيّ التركيبيّ لكونه على علاقة بمعاني النّحو، فيكون لها أثر في التّركيب الجمالي للنّص ووظيفته ومقصديته.

ولم نقف على مفهوم محدد لها؛ فحاولنا وضع مقاربة مفاهيميّة بناءً على ما بين أيدينا من معطيات وأمثلة؛ فتوصلنا إلى أنّ المفارقة القاعديّة (النّحوية) هي أسلوب يتمّ من خلاله مخالفة أصل الوضع؛ بالانتقال من المعنى القريب والتّركيب المعياري إلى معان أخرى لدواعٍ أسلوبية يقتضيها المعنى والسّياق؛ وهذا مردّه إلى أن الإعجاز اللّغوي يقوم على خرق هذه الضوابط والقواعد سعيا وراء الوظيفة الجمالية الإعجازية التي لها أثرها في معنى ومقصدية الآية محلّ النّظر لِمَن أمعن النّظر وأحسن الفهم والتّخريج.

ولعلّ هذا ما كان يقصده النّحاة القدامى والمحدثون في مصنّفاتهم حينما أشاروا إلى مصطلح "**العدول**" كونه مُخالَفة الوضع العربيّ والقياس النّحوي، وقد عدّها ابن جنيّ هذا من شجاعة العربية يقول: «اعلم أنّ معظم ذلك إنّما هو الحذف والزّيادة والتّقديم والتّأخير والحمل على المعنى والتّحريف»[2].

ولعلنا نتطرّق لها بنوع من الاختصار، فليس القصد منّا في هذه الدّراسة إلاّ ربط المفارقة النّحوية بقضية من القضايا النّحوية الّتي وقف عليها ابن عطيّة في المحرّر الوجيز، وكيف أثرت في المسار الدّلالي للنماذج المختارة من هذا التّفسير.

3 – أنواع المفارقة النحوية:

أَوْلَى النّحاة عناية بالغة بوصف التّراكيب وأساليبها، وأعطوْا كلّ واحد منها مصطلحا لغويًّا يدلّ عليه كالتّوجيه والتّهكّم والتّنكيت والتّضاد والتّعريض والالتفات، وعدُّوا معظم القضايا التي تناولوها في العدول عن أصل الوضع هي مفارقات تركيبية في حقيقتها؛ لِكَونِها مُؤسسة على مخالفة مع ما هو أصلٌ في الوضع، ولعلّنا هنا نقف على أشهرها –تمثيلا لا حصرًا–

3–1– المفارقة الكَلِمِيَّة (المعجمية) (Lexical Paradox):

الأصل في العربية أن تُطابق الكلمة معناها الذي سِيقَ لها، قال ابن الأنباريّ: «جري الكلام على معنى واحد أولى من التّنقّل من معنى إلى معنى»[3]، إلا أنّنا نجد في كلام العرب واستعمالهم الكلمةَ وقد أدّت عدّة معانٍ كلٌّ حسب سياقه، ويدخل تحته التضاد والمشترك اللفظي والمشاكلة وغيره، ومثاله كثير خاصة في القرآن الكريم، كلفظ "أُمَّةٍ" مثلًا، فقد يُراد بها: **المدّة**[4] قال تعالى: ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأوِيلِهِۦ فَأَرسِلُونِ**﴾[5]، ويُراد بها الإمام في الدّين[6]، قال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتا لِلَّهِ حَنِيفا وَلَم يَكُ مِنَ ٱلمُشرِكِينَ**﴾[7]، ويراد بها الدِّينُ أي: أنّهم على دين واحد[8]، قال تعالى: ﴿**كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً**﴾[9]، ويُراد بها الجماعة من الناس[10] قال تعالى: ﴿**وَمِن قَومِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهدُونَ بِٱلحَقِّ وَبِهِۦ يَعدِلُونَ**﴾[11]، فمن خلال هذه الآيات نجدّ أنّ لفظ "**أُمَّةٍ**" جاء بمعانٍ مختلفة يحدّدها السّياق الذي وردت فيه، وغير ذلك كثير.

3–2– المفارقة الصرفيّة (Morphological Paradox):

تُحمَل البُنى الصرفية بعضها على معاني بعض، فقد نجد أنّه يُؤتَى مثلا بصيغة "فِعَّالًا" مصدرًا لـ "فَعَّلَ" في حين أنّ الأصل في مصدر "فَعَّلَ" هو "تَفْعِيلًا"، كقولنا: قَتَّلَ تَقْتِيلًا، وحرَّضَ تَحرِيضًا ولفَّقَ تَلْفِيقًا، وغير ذلك كثير، ونجد أنّ ابن عطيّة وقف في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابا**﴾[12]، يقول: «فقد قرأ الجمهور "**كِذَّابا**" بشدّ الذّال وكسر الكاف، وهو مصدر بعض لغة العرب، وهي يمانية، ومنه قول أحدهم

يستفتيني: الحلق أحبُّ إليك أم **القِصَّارُ**»[13] يقصد التَّقْصِيرُ. «ولم يختلف السّبعة في هذا الموضع» [14] ، فكلّهم أجمعوا على هذا التّخريج.

3-3- المفارقة الجُمليّةُ (Sentential Paradox):

وهو أوسع من سابقيه تفريعا واستعمالا، وفيه مفارقة العدد، ومفارقة الجنس، ومفارقة الإعراب ...وكذا مفارقة **الحذف** التي هي محلّ دراستنا، وسيكون اشتغالنا على **"المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"** للقاضي أبي محمّد عبد الحقّ بن غالب لابن عطية الغرناطيّ الأندلسيّ (ت 546 هـ)[15].

3-3-1- مفهوم الحذف:

ممّا لا يخفى على كلّ باحث في علوم العربيّة أنّ قضيّة الحذف قضيّة يشترك فيها النّحاة والبلاغيون؛ وهي عُمدَةٌ في نظام اللّغة العربيّة، كون العرب يميلون إلى الإيجاز والاختصار؛ والنفور من كلّ ما هو ثقيل على الألسن، فالحذف لغة هو: "القطع والإسقاط"، جاء في الصّحاح: حَذْفُ الشّيءِ: إسقاطُه. ويقال: حَذَفْتُ من شَعْري ومن ذَنَبِ الدّابَة، أي أخذت، وحَذَفْتُ رأسَه بالسّيف، إذا ضربته فقطعتَ منه قطعةً" [16]. وجاء في لسان العرب: "حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً قَطَعَه من طَرَفه، والحَجَّامُ يَحْذِفُ الشعْر من ذلك... والحَذْفُ الرَّمْيُ عن جانِبٍ والضرْبُ" [17].

ونحن في هذا المقام لسنا بصدد العرض لكلّ الحذف الّذي يحصل في العربية، وإنما ذلك الحذف الذي تنجم عنه لمسة بيانيّة وجمالية فنيّة.

قال عنه الجرجاني: « هو بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأَمر، شبيهٌ بالسِّحْر فإنكَ ترى به تَرْكَ الذِكْر، أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإفادة وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تبن»[18]، والجرجاني (ت 471 هـ) بهذا يقف على مفارقة عجيبة وهي أنّ الحذف يُجَلِّي المعنى عند المتلقي، جاعلًا الحذف أكثر إغناءً للدلالة بطاقاته التّعبيرية.

3-3-2- مفهوم مفارقة الحذف:

هي أسلوب يُحْذَفُ فيه ما ينبغي ذكره تركيبيًا -حرف، كلمة، جملة- لدواعٍ أسلوبية تتحقق بها جمالية النّص ومقصديته، وهذا من عجائب العربيّة «فإنك قد ترى الجمال والرّوعة تتجلّى في الكلام إذا أنت حذفت أحد ركني الجملة أو شيئا من متعلّقاتها، فإن أنت قدّرت ذلك المحذوف وأبرزته صار الكلام إلى غثّ سفساف ونازل ركيك لا صلة بينه وبين ما كان عليه أوّلا»[19].

3-3-3-أقسام الحذف:

ينقسم الحذف إلى نوعين: حذف المفرد (ويقع في الفعل والاسم والحرف) وحذف الجملة وهو ثمانية ضروب:

3-3-3-1- الاقتطاع:

وَهُوَ حذفُ بعض حروف الكلمة، مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿**لَّٰكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشرِكُ بِرَبِّي أَحَدا**﴾[20]، اختلفت القراءة في قوله "لكِنَّا" فقرأ ابن عامر ونافع في رواية المسيليّ «لكنّا» في الوصل والوقف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي «لكن» في الوصل و«لكنا» في الوقف

ورجحها الطّبري، وهي رواية ورش وقالون عن نافع، وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب والحسن «لَكِنْ أَنَا هُوَ اللهُ رَبِّي».

وقرأ عيسى الثقفي والأعمش بخلاف «لكن هو الله ربي» فأما هذه الأخيرة فبين على الأمر والشأن، وأما الذي قبلها فعلى معنى لكن أنا أقول ومن هذه الفرقة، من قرأ «لكننا»، على حذف الهمزة وتخفيف النونين، وفي هذا نظر، وأما من قرأ «لكننا» ، فأصله عنده لكن أنا: حذفت الهمزة على غير قياس، وأدغمت النّون في النّون، وقد قال بعض النّحويين: نقلت حركة الهمزة إلى النّون فجاء لَكِنَنَا ثم أدغمت بعد ذلك فجاء «لكنّا» ، فرأى بعض القراء أن بالإدغام حُذف حرف الألف في "**أنا**"، ومنهم من يخرّجها على أنّها "**لَكِنْ**" ولحقتها نون الجماعة التي في "**خرجنا وضربنا**" ووقع الإدغام لالتقاء المتماثلين.[21]

3-3-3-2- الاكتفاء:

وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازمٌ وارتباطٌ، فيكتفى بأحدهما عن الآخر ويختصّ بالارتباط العطفيّ غالبا، ونحو ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلجِبَالِ أَكنَٰنا وَجَعَلَ لَكُم سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأسَكُم كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعمَتَهُۥ عَلَيكُم لَعَلَّكُم تُسلِمُونَ**﴾[22]، قال ابن عطيّة: فلمّا كانت بلادهم حارّة بحيث للظل غناء عظيم ونفع ظاهر فذكر "**السَّرَابِيل**" وهي جميع ما يلبس على جميع البدن، وذكر وقاية الحرّ إذا هو أمس في تلك البلاد، لأنّ البرد فيها معدوم في الأكثر، وإذا جاء في الشتوات فإنما يتوقى بما هو أكثف من السّربال المتقدم ذكره في الآية السّابقة، ... وذكر أحدهما يدل على الآخر.[23]، فنجد أنّ التّعبير القرآني جاء على هذه التّركيب مناسبًا للبيئة الحارّة لشبه جزيرة العرب، والتّقاء من الحرّ أولى، ولا يُقاوم عكس البرد.

3-3-3-3- الاحتباك (الحذف المقابليّ):

وهو أن يُحذف من الأول ما أُثبت نظيره في الثّاني، ومن الثّاني ما أُثبت نظيره في الأوّل، وقد أشار إليه الزّركشيّ في البرهان، ونحوه قوله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنعِقُ بِمَا لَا يَسمَعُ إِلَّا دُعَاءٓ وَنِدَاءٓ صُمُّۢ بُكمٌ عُمي فَهُم لَا يَعقِلُونَ**﴾[24]، قال ابن عطيّة: « والمُرَاد تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم والكافرين الموعوظين بالراعي الذي ينعق بالغنم أو الإبل فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه ولا تفقه ما يقول، هكذا فسر ابن عباس وعكرمة والسّدي وسيبويه. قال القاضي أبو مُحَمَّد: فذكر بعض هذه الجملة وترك البعض، ودل المذكور على المحذوف وهذه نهاية الإيجاز».[25]

3-3-3-4- الاختزال: من الافتعال، تقول اختزل الشيء، أي: قطعه وحذفه، ثمّ نقل في الاصطلاح إلى حذف كلمة أو أكثر، إمّا اسمٌ أو فعلٌ أو حرفٌ.

3-3-3-4-1- حذف الاسم:

وفيه قد يحذف المبتدأ، والخبر، والفاعل، والمفعول، ويحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ... وغيرها [26]، وحسبنا هنا التّمثيل للمبتدأ، ونحوه في قوله تعالى: ﴿ **سُورَةٌ أَنزَلنَٰهَا وَفَرَضنَٰهَا وَأَنزَلنَا فِيهَا ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ**﴾[27]، قرأ الجمهور، "سُورَةٌ" بالرّفع، وقرأ عيسى بن عمر ومجاهد "سُورَةً" بالنصب، وروي ذلك أيضا عن عمر بن عبد العزيز وعن أبي الدرداء، فوجه الرّفع خبر لمبتدأ محذوف والتّقدير "**هَذِهِ سُورَةٌ**"، ووجه النصب أن تكون مفعولا لفعل محذوف تقديره "**أُتْلُوا**" أو نحوه.[28]

3-3-3-4-2- الفعل:

وقد يُحذف الفعل ونحوُه قوله تعالى: ﴿**وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَم كَذِب قَالَ بَل سَوَّلَت لَكُم أَنفُسُكُم أَمرا فَصَبر جَمِيل وَٱللَّهُ ٱلْمُستَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾[29]، فَقُرئت "**صَبْرٌ**" بالرّفع والنّصب ومن أوجه تخريج قراءة النّصب ما ذكره ابن عطيّة في المحرّر، وهو أنّ الأشهب وعيسى بن عمر قرأ بالنصب: «فصبرًا جميلًا» على إضمار فعل، وكذلك هي في مصحف أُبَيّ ومصحف أنس بن مالك- وهي قراءة ضعيفة عند سيبويه ولا يصلح النّصب في مثل هذا إلا مع الأمر، ولذا يحسن النّصب في قول الشّاعر [الرّجز]:

شَكَى إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى * صَبْرًا جَمِيلًا فَكِلَانَا مُبْتَلَى

3-3-3-4-3- حذف الحرف:

من سنن العرب حذف الحرف، يقول الرّافعي: «فيسقطون الوسيط تفننا»[30]، ومن أمثلته حذف واو القسم في قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَٱلحَقَّ وَٱلحَقَّ أَقُولُ لَأَملَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنهُم أَجمَعِينَ**﴾[31]، فقرأ جمهور القرّاء: "**فالحقَّ والحقَّ**" بنصب الاثنين، فأما الثاني فمنصوب بـ"أَقُولُ" وأما الأوّل فيُحتَمل أن ينتصب على إسقاط حرف القسم، وهذا وجهٌ، كأنّه قال: "**فَوَ الحَقَ**"، ثم حذف الحرف كما تقول: "الله لَأَفْعَلَن"، تريد: والله، ويُقوّي ذلك قوله: "**لَأَمْلَأَنَّ**"، وقد قال سيبويه: قلت للخليل ما معنى "لَأَفْعَلَن" إذا جاءت مبتدأة: قال هي بتقدير قَسَمٍ منويٍّ، وقرأ الحسن: «فَالحَقِّ وَالحَقِّ» بخفض القاف فيهما على القسم، وذكرها أبو عمرو الدّاني.[32]

3-3-4- الدواعي الأسلوبية لمفارقة الحذف:

للحذف دواع أسلوبية سواء كان ذلك في كتاب الله تعالى أو في كلام العرب، منها:

3-3-4-1- التخفيف:

من شأن العرب في كلامها أن تحذف كلّ ما هو مُستَثقَلٌ، يقول ابن حجّة الحموي (ت1093هـ): «الحذف إنّما يكون لضرب من التّخفيف»[33].

3-3-4-2- الإيجاز والاختصار:

من خصائص العربيّة الإيجاز لبلوغ الغاية والمقصديّة، فهو « اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل»[34]، ويكون هذا باستعمال الألفاظ القليلة للمعاني الكثيرة، وهو مُنتهى البلاغة.

3-3-4-3- الاتّساع:

عرّفه السبكي بأنه «كل كلام تتسع تأويلاته، فتتفاوت العقول فيها لكثرة احتمالاته لنكتة ما، كفواتح السور»[35]، ومنهم من يُطلِق عليه التّوسّع، وهو كثير في أساليب العرب، وعنه ينتج المجاز لكثرة التّأويلات.

3-3-4-4- التّفخيم والإعظام:

وفيه يُعظّم المحذوف، ونحوُه قوله تعالى: ﴿**وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ رَبَّهُم إِلَى ٱلجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَت أَبوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُم خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيكُم طِبتُم فَٱدخُلُوهَا خَٰلِدِينَ**﴾[36]، فـ"إِذَا" في الآية شرطية

ظرف لما يُستَقبل من الزّمن، و جملة "**جَاءُوهَا**" فعل الشّرط، وجملة جواب الشّرط محذوفة، فلأنّ المحذوف عظيم، ووصفه يفوق توقّع المتلقّي، حُذف تفخيمًا وتعظيمًا، والعبارات لا تسع لوصفه، ويقدّم لها ابن عطيّة تفسيرا، يقول: « قال الزّجاج عن المبرّد: جواب إذا محذوف تقديره بعد قوله: خالِدِينَ فيها "**سَعِدُوا**"»[37].

3-3-4-5- تحقير شأن المحذوف:

قد يُحذف الاسم للتّقليل من شأنه، ونحوُه في قوله تعالى: ﴿**صُمٌّ بُكمٌ عُمي فَهُم لَا يَرجِعُونَ**﴾[38]، يقول ابن عطيّة: «"**صُمٌّ**" رفع على خبر ابتداء، فإمّا أن يكون ذلك على تقدير تَكرار "**أولئك**"، وإمّا على إضمار "**هُمْ**"، وقيل هو نصب على الذم، وفيه ضعف».[39]

3-3-4-6- قصد الإبهام:

قد يكون الحذف بقصد الإبهام، كي لا ينصرف ذهن المتلقّي له، ونحوُه قوله تعالى: ﴿**وَأَتِمُّواْ ٱلحَجَّ وَٱلعُمرَةَ لِلَّهِ فَإِن أُحصِرتُم فَمَا ٱستَيسَرَ مِنَ ٱلهَدي**﴾[40]، قال ابن عطيّة: « قال علقمة وعروة بن الزبير وغيرهما: الآية فيمن أحصر بالمرض لا بالعدو، وقال ابن عباس وغيره بعكس ذلك والمشهور من اللغة أحصر بالمرض وحصر بالعدو، وفي المجمل لابن فارس حصر بالمرض وأحصر بالعدو، قال القاضي أبو مُحَمَّد عبد الحق ﷺ: والصحيح أن حصر إنما هي فيما أحاط وجاور، فقد يحصر العدوّ والماء ونحوه، ولا يحصر المرض، وأحصر معناه جعل الشيء ذا حصر كأقبر وأحمى وغير ذلك، فالمرض والماء والعدو وغير ذلك قد يكون محصرا لا حاصرا، ألا ترى أنّ العدوّ كان محصرا في عام الحديبيّة، وفي ذلك نزلت هذه الآية عند جمهور أهل التّأويل»[41]، فالحذف الّذي وقع في الآية جعل المتلقّي في إبهام، وعليه فبناء الفعل لغير الفاعل هو الّذي يهمّ المتلقّي في الآية، وليس الفاعل الّذي قام بفعل الإحصار – سواء كان المرض أو العدوّ أو الماء أو غيره – ولو ذُكِر الفاعل لانْصَرَفَ ذهن المتلقّي إليه، ونسي الحدث الّذي هو الأساس.

3-3-4-7- البيان بعد الإبهام:

لا شكّ أنّ البيان والإفصاح بعد الإبهام، له أثر على السّامع، كون السّامع يتشوّق إلى معرفة هذا المحذوف، ويرى البلاغيون أنّ ذلك يتأتّى مع فعل المشيئة، ونحوُه قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى ٱللَّهِ قَصدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنهَا جَائِرٍ وَلَو شَاءَ لَهَدَىٰكُم أَجمَعِينَ**﴾[42]، قال ابن عطيّة: «معناه لخلق الهداية في قلوب جميعكم ولم يضلّ أحد، وقال الزّجاج معناه لو شاء لعرض عليكم آية تضطركم إلى الإيمان والاهتداء»[43]، فلو شرطية مقترنة بفعل المشيئة، وفاعل ومفعول فعل المشيئة محذوفان، فالفاعل حُذف لمعرفته، والمفعول للبيان بعد الإبهام، لِتعلّق فعل المشيئة به، ولما جيء بجواب الشّرط زال الإبهام والغموض، فالشّرط دلّ على الإجمال والجواب دلّ على التّفصيل.

3-3-4-8- العلم الواضح بالمحذوف:

قد يُحذف الاسم – مثلا – بسبب العلم به، ونحوُه قوله تعالى: ﴿**عَٰلِمِ ٱلغَيبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشرِكُونَ**﴾[44]، قال ابن عطيّة: « قرأ أبو بكر عن عاصم "عَالِمُ" بالرّفع والمعنى "هو عَالِمُ"، قال الأخفش، قال أبو علي: ووجهه الرفع أنّ الكلام قد انقطع. قال الفقيه الإمام القاضي: والابتداء عندي أبرع»[45]،

لهذه الآية قراءتان، فعلى قراءة رفع "**عَالِمٌ**"، فتقدير الكلام "**هُوَ عَالِمٌ**" فضمير الشّأن "**هُوَ**" مبتدأ، و "**عَالِمٌ**" خبر، أو "**اللهُ عَالِمٌ**" فـ "**الله**" لفظ الجلالة مبتدأ محذوف و"**عالمٌ**" خبر.

4-3-4- أسباب الحذف: نذكر منها:

4-3-4-1-كثرة الاستعمال:

فهو من الأسباب التي عدها سيبويه سببيلا للحذف، وقد عَقَد لذلك بابًا سمّاه: «هذا باب يحذف منه الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل»[46].

4-3-4-2- طول الكلام:

وهو من المسوغات التي عدّها الزركشي سبيلًا للحذف.[47]

4-3-4-3- التركيب:

وهو في العربية نوعان مزجيٌّ وإضافيٌّ، حيث اعتاد العرب الاختصار «من الكلمة إيجازا في نطقه وتخفّفا. فيحذف بعض ما ينزّل منزلة جزء الكلمة كالجزء الثاني من المركب تركيبا مزجيّا وكالمضاف إليه، وكياء المتكلم، وأداة النداء»[48]، وهو مقتصر على حذف الحروف من ياء وواو وتاء وتنوين، وترخيم، «ومن دواعيه إلى ذلك الإيجاز والتحبّب للمنادى أحيانا، ومراعاة جمال فنّيّ في نسق الكلام، وإيثار اللفظ الأخف على اللّسان، إلى غير ذلك»[49].

4-3-4-4- مجرّد الاختصار والاحتراز عن العبث:

بناء على الظّاهر نحو الهلال والله أي هذا فحذف المبتدأ استغناء عنه بقرينة شهادة الحال إذ لو ذكره مع ذلك لكان عبثا من القول.

4-3-4-5- الحذف لتقاصر الزمان:

«التّنبيه على أنّ الزّمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف وأنّ الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهمّ وهذه هي فائدة باب التّحذير، نحو: إيّاكَ والشّرَّ، والطَّريقَ الطَّريقَ، اللهَ اللهَ، وباب الإغراء هو لزوم أمر يحمد به وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ لَهُم رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا**﴾[50]، قال ابن عطيّة: « ناقَةَ اللَّهِ وَسُقْياها نصب بفعل مضمر تقديره احفظُوا أو ذَرُوا أو احذَرُوا على معنى: احذروا الإخلال بحقّ ذلك، وقدم تعالى التكذيب على العقر لأنه كان سبب العقر»[51].

- خاتمة:

في الختام خلصنا إلى النّتائج التّالية:

- للمفارقة النحوية في تراثنا اللغوي صورٌ جمةٌ؛ وظّفها أهل الصنعة من الشعراء والكتاب في سبيل تحقيق المعنى وبلوغ مقصديته، وتحقيق وظيفته الجمالية، ثم لينزل القرآن بعد ذلك مترعًا بمثل هذه الأساليب معجزًا في لفظه ونظمه.

- إن النحاة لا فرق عندهم في معنى جملتين قُدم في إحداها الفعل وفي الأخرى الاسم عكس البلاغيين الذين يرون أن لكلِ تركيبٍ دواعيه الأسلوبية.

- إن المتكلم لن يستشعر قيمة المفارقة التركيبية إلا إذا عرف مسالكها ودواعيها الأسلوبية.

-أسلوب المفارقة التركيبية استعمالٌ عربي يبرز لنا تنوع الإمكانات النحوية وأنّ العدول عن الاختيار الوضعي يحدث تنافرًا وظيفيا ودلاليًا في التراكيب، فيرى الدلاليون أنه إشارة من المتكلم وقرينة تحول دون تمثُّل المعنى الظاهر؛ بل بالالتفات إلى خفيّه.

- مفارقة الحذف من الظواهر الأسلوبية التي اشترك فيها النحاة والبلاغيون وفي تحديد أقسام المحذوفات، إلّا أن اهتمام البلاغيين كان على المحذوفات التي تعطي التّركيب بعدا جماليا ومقصدية فنية، وأهملوا بعض ما اقتضته صنعة النّحاة، وهذا طبيعيٌّ إذ كلٌّ وتوجهه وكلٌّ وغايته.

- كلما كان الحذف أبعد عن الجواز نرى البلاغيين اهتموا به أكثر وكان سعيهم وراءه أشدّ كحذف الفعل والفاعل وحروف الجر.

- الحذف هو إحدى الوسائل للتخلص من الثّقل.

- من خلال تقدير المحذوف يمكن توجيه الدّلالة لنصوص القرآن الكريم.

-. قائمة الإحالات:

1 -سليمان خالد، 1999م، المفارقة في الأدب، دراسات بين النظرية والتطبيق، دار الشرق، عمان، ط01، ص22.

2- بن جني أبو الفتح ،1952م الخصائص، تح: محمّد علي النّجّار، دار الكتب المصريّة، المكتبة العلميّة، ج02، ص360.

3- ابن الأنباري أبو البركات ، دت، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج02، ص403.

4- ابن عطيّة عبد الحقّ الأندلسيّ، 2007م-1428هـ ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: الرّحالة الفاروق، وعبد الله بن ابراهيم الأنصاري، وعبد العال السيّد ابراهيم ومحمّد الشّافعي صادق العناني، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، دار الخير، دمشق – سوريا، ط2، ج2، ص546.

5- سورة يوسف، الآية 45.

6- الزّمخشريّ جار الله ، 2009م، تفسير الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوة التّأويل، تعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط3، 1430هـ –ص587.

7- سورة النّحل، الآية 120.

8- الواحديّ عليّ بن أحمد ، 2009م، التّفسير البسيط، تح: محمّد بن عبد العزيز الخضيري، ، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، سلسلة الرّسائل الجامعيّة، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، المملكة العربية السّعوديّة، ج ص319.

9- سورة البقرة، الآية 213.

10- ابن عاشور محمّد الطاهر ، 1984م، التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، ج12، ص10.

11- سورة الأعراف، الآية 159.

12- سورة النّبأ، الآية 28.

13- ابن عطية، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج8، ص521.

14- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

15 - هو عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرّحمن بن عبد الرؤوف بن تمّام بن عبد الله بن تمام بن عطيّة بن خالد بن خفاف بن أسلم من مكرم المحاربيّ، من ولد زيد بن محارب بن خصفة من قيس عيلان بن مضر الإمام الكبير قدوة المفسّرين أبو محمّد الغرناطيّ

القاضي. وُلد ابن عطية في أسرة محافظة، لها جذورها العربيّة الأصيلة، بيت علم وفضل وكرم ونبل، سنة إحدى وثمانين وأربعمائة (481هـ)، حيث نشأ فيها على حبّ العلم والمعرفة، فنهل من معينها، ومات في خامس عشري رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة (541هـ) بمدينة لورقة . له تفسير مشهور بالمحرّر الوجيز من أشهر التّفاسير الّتي جمع فيها صاحبه بين المأثور والمعقول، وتحرَّى أن يُودِع فيه كل ما هو أقرب إلى الصّحة وألصق بالسّنة؛ فأحسن فيه وأجاد، وأبدع فيه وأفاد، فنجده كثيرا ما يذكر ما روي عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، ويكثر من ذكر وجوه الاحتمالات التي يمكن حمل الآية عليها، ناقلًا ذلك عن المفسرين وغيرهم، وقد امتازت عباراته بالسّلاسة والسّهولة، مناقشًا ما يذكره من آراء، محتكمًا إلى اللغة العربية لدى توجيهه بعض المعاني، وهو كثير الاستشهاد بالشعر العربي والشواهد الأدبية، وكثير الاهتمام بالصّناعة النّحوية.

16- الجوهريّ اسماعيل ، 1430هـ- 2009م الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تح: محمّد محمّد تامر، دار الحديث، القاهرة، ص233.

17- ابن منظور، لسان العرب، 1410هـ - 1990م، دار صادر ، بيروت، ط1، ج9، ص39، 40.

18- الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، ص146.

19- المراغي أحمد مصطفى ، 1414هـ – 1993م، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط3، ص89.

20- سورة الكهف، الآية 38.

21- ينظر: ابن عطيّة الأندلسيّ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج5 ، ص609.

22- سورة النّحل، الآية 81.

23- ينظر: ابن عطيّة الأندلسيّ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج5 ، ص393.

24- سورة البقرة، الآية 171.

25- ابن عطيّة الأندلسيّ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج1 ، ص408، 409.

26- الزركشي أبو عبد الله ، 1957م، البرهان في علوم القرآن، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط01، ج03، 117-198.

27- سورة النّور، الآية 01.

28- ابن عطيّة الأندلسيّ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج6 ، ص329.

29- سورة يوسف، الآية 18.

30- الرافعي مصطفى صادق ، دت، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، دط، ج01، ص151.

31- سورة ص، الآية 84.

32- ابن عطيّة الأندلسيّ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج7 ، ص367.

33- الحموي أبو بكر تقي الدين بن حجة ، 2004م، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال- بيروت، دار البحار-بيروت، ج01، الطبعة الأخيرة ج08، ص 384.

34- أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص182.

35- السبكي بهاء الدين ، 2003م، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط01، ج02، ص311.

36- سورة الزّمر، الآية 73.

37- ينظر: ابن عطيّة الأندلسيّ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج7 ، ص415.

38- سورة البقرة، الآية 18.

39- ابن عطيّة الأندلسيّ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج1 ، ص136.

40- سورة البقرة، الآية 196.

41- ابن عطيّة الأندلسيّ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج1 ، ص 471، 472.

42- سورة النّحل، الآية 09.

43- ابن عطيّة الأندلسيّ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج5 ، ص323.

44- سورة المؤمنون، الآية 92.

45- ابن عطيّة الأندلسيّ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج6 ، ص317.

46- سيبويه، الكتاب، 1408هـ- 1988م، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ج01، ص280.

47- الزركشي أبو عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، ج03، ص 187.

48- الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة 1416هـ – 1996م، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم- دمشق، دار الشّامية- بيروت، ط1، ج01، ص331.

49- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

50- سورة الشمس، الآية 13.

51- ابن عطيّة الأندلسيّ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج8، ص630.

– قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. ابن الأنباري أبو البركات ، دت، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
2. ابن عاشور محمّد الطاهر ، 1984م، التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس.
3. ابن عطيّة عبد الحقّ الأندلسيّ، 2007م1428هـ ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: الرّحالة الفاروق، وعبد الله بن ابراهيم الأنصاري، وعبد العال السيّد ابراهيم ومحمّد الشّافعي صادق العناني، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، دار الخير، دمشق – سوريا، ط2.
4. ابن منظور، لسان العرب، 1410هـ 1990م، دار صادر ، بيروت، ط1.
5. أبو عبيدة معمر بن المثنى، دت، مجاز القرآن؛ تح: محمّد فؤاد سزّكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط01.
6. ابن جني أبو الفتح ،1952م الخصائص، تح: محمّد علي النّجّار، دار الكتب المصريّة، المكتبة العلميّة.
7. الجرجاني عبد القاهر ، 2004م، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، ط5.
8. الجوهريّ اسماعيل ، 1430هـ 2009م الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تح: محمّد محمّد تامر، دار الحديث، القاهرة.

9. الحموي أبو بكر تقي الدين بن حجة ، 2004م، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال بيروت، دار البحار، بيروت، ج01، الطبعة الأخيرة.

10. الرافعي مصطفى صادق ، دت، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، دط.

11. الزركشي أبو عبد الله ، 1957م، البرهان في علوم القرآن، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط01 .

12. الزّمخشريّ جار الله ، 2009م، تفسير الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوة التّأويل، تعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط3.

13. السامرائي فاضل صالح ، 1420هـ – 2000م، معاني النّحو، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عمان، ط1.

14. السبكي بهاء الدين ، 2003م، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط01.

15. سليمان خالد، 1999م، المفارقة في الأدب، دراسات بين النظرية والتطبيق، دار الشرق، عمان، ط01.

16. سيبويه، الكتاب، 1408هـ 1988م، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3.

17. العابد سليمان إبراهيم ، أفريل مايو 2008م، معاني النحو، مجلة العرب، دار اليمامة، الرياض.

18. عاشور سلام عبدالله محمود، يونيو 2014م، المسائل النحوية في مجاز القرآن ورأيه فيها، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية).

19. العكيلي حسن منديل حسن ، 2009م، الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01.

20. العكيلي حسن منديل حسن ، ديسمبر 2014م، نظرات في أسلوب العدول في النص القرآني لدى البلاغيين، مجلة معارف، جامعة البويرة، مج 09، ع17.

21. الكاعوب عيسى علي ، الشتيوي علي سعد ، 1993م، الكافي في علوم البلاغة العربية، مطبوعات الجامعة المفتوحة، مصر، دط.

22. المراغي أحمد مصطفى ، 1414هـ – 1993م، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط3.

23. مصطفى إبراهيم ، 2014م، إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، دط.

24. الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة 1416هـ – 1996م، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم دمشق، دار الشّامية بيروت، ط1.

25. الواحديّ عليّ بن أحمد ، 2009م، التّفسير البسيط، تح: محمّد بن عبد العزيز الخضيري، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، سلسلة الرّسائل الجامعيّة، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، المملكة العربية السّعوديّة.